مجلة تداوليات ISSN :2992-0795
المجلد: الثالث03/ العدد:الأول 01 / جويلية 2025 / ص ص104- 126

القصيدة العربية المعاصرة بين شعرية الخطاب وتأثيره التداولي

دراسة تداولية في نماذج من شعر آمنة حزمون وأحمد عبد الغني

The Contemporary Arabic Poem between the Poetics of Discourse and Its Pragmatic Effect – A Pragmatic Study of Selected Poems by Amina Hazmoun and Ahmed Abdulghani

د. خديجة دبة

khadidjahdebba@gmail.com

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة عمارثليجي بالأغواط

الملخص :

تناقش هذه الدراسة "القصيدة العربية المعاصرة بين الوظيفة الشعرية والتأثير التداولي"، وتركز على تحليل الشعر العربي المعاصر تداوليا من خلال الأفعال الكلامية وآليات التأثير. تستعرض الدراسة تجربتين شعريتين لشاعرين معاصرين هما آمنة حزمون (من الجزائر) وأحمد عبد الغني (من مصر). وتهدف إلى فهم العلاقة بين البنية الشعرية والبعد التداولي في النصوص الشعرية، وكيفية تأثير تلك النصوص في المتلقي.

تعتمد الدراسة على مفاهيم التداولية التي تتجاوز البنية اللغوية، وتدرس الظروف الاجتماعية والنفسية التي تحكم الاستعمال اللغوي في الخطاب الأدبي. وتؤكد الدراسة أن النصوص الشعرية المعاصرة لا تقتصر على نقل مشاعر فردية فقط، بل تتفاعل مع المتلقي عبر أدوات لغوية وتداولية تهدف إلى التأثير وخلق تأثيرات شعورية وعقلية.

تتضمن الدراسة الكشف عن مجموعة من الأفعال الكلامية، مثل الأوامر، التعبير عن المشاعر، الوعد، النهي، وغيرها من الأنواع التي تساهم في تشكيل التأثيرات الشعورية. وقد سلطت الضوء على كيفية استثمار الشاعرين لهذه الأفعال في بناء نصوصهم بطريقة تجعلها تصنع أفقًا تواصليًا بين الشاعر والقارئ.

الكلمات المفتاحية:القصيدة العربية المعاصرة، التداولية، الأفعال الكلامية، التأثير التداولي، آمنة حزمون، أحمد عبد الغني.

Abstract:

This study discusses *"The Contemporary Arabic Poem Between the Poetic Function and Pragmatic Impact"* and focuses on a pragmatic analysis of contemporary Arabic poetry through speech acts and mechanisms of influence. The study examines the poetic experiences of two contemporary poets: Amina Hazmoun (from Algeria) and Ahmed Abdel Ghani (from Egypt). It aims to understand the relationship between poetic structure and the pragmatic dimension in poetic texts, and how these texts impact the audience.

The study draws on pragmatic concepts that go beyond linguistic structure, exploring the social and psychological conditions governing language use in literary discourse. It asserts that contemporary poetic texts do not merely convey individual emotions, but rather interact with the recipient through linguistic and pragmatic tools intended to influence and generate emotional and intellectual effects.

The study reveals a range of speech acts—such as commands, emotional expression, promises, prohibitions, and others—that contribute to shaping emotional impacts. It highlights how the two poets utilize these acts in

constructing their texts in a way that creates a communicative horizon between the poet and the reader.

Keywords: Contemporary Arabic poem, pragmatics, speech acts, pragmatic impact, Amina Hazmoun, Ahmed Abdel Ghani.

مقدمة

شهدت القصيدة العربية المعاصرة تحوّلات جمالية وفكرية عميقة، نقلتها من دائرة التعبير المجرّد عن الذات والوجدان إلى فضاء الخطاب المركّب، الذي يزاوج بين البعد الشعري والفاعلية التواصلية. فالقصيدة لم تعد مجرّد وعاء للمشاعر والأحاسيس، بل غدت خطابًا يُوجَّه إلى متلقٍّ مفترض، ويستند إلى آليات لغوية وتداولية تتوسّل الإقناع والتأثير وتشكيل الوعي. من هنا تبرز الحاجة إلى دراسة النص الشعري المعاصر في ضوء التداولية، بما تتيحه من أدوات تحليلية قادرة على الكشف عن مقاصد الخطاب وآثاره في المتلقي.

وتتجسّد أهمية التداولية في كونها لا تكتفي بوصف البنى اللغوية، بل تتجاوزها إلى تحليل الأفعال الكلامية، والإفتراضات المسبقة، والاستلزام الحواري، وكلّ ما يرتبط بالفعل التأثيري للخطاب في سياقاته المختلفة. وبذلك فهي تتيح مقاربة جديدة للقصيدة العربية، بوصفها نصًا يتفاعل مع قارئه ويؤسّس لجمالياته من خلال دينامية التلقي.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لتقارب القصيدة العربية المعاصرة بين شعرية الخطاب وأثره التداولي، من خلال الوقوف عند نماذج شعرية لكلٍّ من آمنة حزمون وأحمد عبد الغني ؛ لما يميّز تجربتيهما

من حضور جمالي وفكري، وانفتاح على قضايا الإنسان والهوية، واستثمار مكثّف للبوح الشعري وللطاقات التداولية التي تجعل النصوص أكثر قدرة على التأثير في المتلقي. فالنصّ الشعري عندهما لا يكتفي بالبعد الجمالي، بل يتوخّى فعلًا تواصليًا يحاور القارئ ويستدرجه إلى أفق المشاركة والتأمل.

إشكالية الدراسة:

تتحدد الإشكالية الرئيسة في السؤال الآتي:

- كيف تتجسّد العلاقة بين شعرية الخطاب وأثره التداولي في القصيدة العربية المعاصرة، وإلى أيّ حدّ تعكس النصوص المدروسة عند آمنة حزمون وأحمد عبد الغني وعيًا تداوليًا في بناء خطابها؟

سنحاول في هذه الورقة إبراز هذا الوعي التداولي في الخطاب الشعري المعاصر من خلال الأفعال الكلامية ودورها في تشكيل الأثر القرائي، ضمنَ قراءة تطبيقية لنماذج مختارة للشاعرين.

1- مفهوم التداولية:

تُعنى التداولية بدراسة استعمال اللغة في سياقاتها المختلفة، على خلاف الدراسات اللسانية التي انحصرت مع الاتجاه البنيوي في دراسة اللغة ذاتها باعتبارها بنيةً مغلقة. فقد اتجه البنيويون إلى معالجة اللغة معالجةً تجريدية، ترتكز على إجراءات داخلية خالصة، تؤكد استقلال البنية اللغوية في مستواها الصوري المجرّد. أمّا التداولية، فإنها تتجاوز هذا التصوّر البنيوي الضيق، إذ تنظر إلى اللغة بوصفها ممارسة تواصلية، وترتبط بأحوال الاستعمال في مقامات متنوّعة، تتحدد وفق مقاصد المتكلمين وظروف المخاطَبين[1].

[1]. يُنظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير الجزائر، سنة 2020، ط2، ص 41.

وتهتم التداولية كذلك بدراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي، فتقيم من ثمّ روابط وشيجة بين علمي اللغة والتواصل، ومن جهة أخرى تقيم روابط وشيجة بين اللغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي[2].

يقول طه عبد الرحمن في تعريفه للتداول : "التداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ماكان نطاقا مكانيا وزمانيا لحصول التواصل والتفاعل"3. حيث نجد طه عبد الرحمن هنا يربط مصطلح التداول بالتواصل والتفاعل، وهو ينطلق من تعريفه للتداولية في التأسيس لمنهج تداولي لقراءة التراث العربي الإسلامي، ومن هنا جاء بمصطلح المجال التداولي الذي يختص بدراسة التراث من داخله وفي سياقاته ووسائله اللغوية والمنطقية التي أنتج فيها.

ويورد خليفة بوجادي تعريفات للتداولية من بينها:

"دراسة استعمال اللغة في الخطاب والآثار التي تثبت ذلك"، و "دراسة اللغة بعدّها ظاهرة تواصلية اجتماعية خطابية حجاجية"[4]، ونجد في هذين التعريفين اجتماعا لروافد معرفية معتددة كعلم النفس وعلم الاتصال وعلم الاجتماع والمنطق إضافة إلى علم اللغة..

[2]. نفس المرجع، ص 42.

[3]. طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2، ص244.

[4].خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 69.

2- الأفعال الكلامية:

وهي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية ومن أهم مراجعها، بل يمكن التأريخ منها للتداولية؛ حيث ارتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع، وهي تسمية اقترحت في سنوات الستينيات من طرف أوستين[5].

لقد كان من أهم منطلقات أوستين أن وظيفة اللغة ليست مجرد إيضال المعلومات أو وصف العالم أو التعبير عن الفكر، وإنما هي مؤسسةٌ تتكفّلُ بتحويل الأفعال التي تصدر _ ضمن معطيات سياقية واجتماعية وذهنية.._ إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية مؤسساتية، فحينما يقول القاضي أو المدير: "فُتِحت الجلسة" يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا ما هو فتح الجلسة"[6].

وترى "فرنسواز أرمينيكو" أن نظرية أفعال الكلام تعتبر دراسة نفسية للعلاقة بين العلامات ومؤوليها، من خلال معرفة ما يقوم به مستعملو التأويل ، وكل فعل يقومون بإنجازه بواسطة استعمالهم لبعض العلامات[7].

وقد قدم أوستين تصنيفين للأفعال الكلامية أحدهما تصنيف عام للشُعب الثلاث الكبرى للفعل الكلامي، والثاني تصنيف خاص بالأفعال المتضمنة في القول وهو ذو أهمية على اعتبار أنه أول تصنيف

[5]. نفس المرجع، ص 86.
[6]. مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، دار التنوير، الجزائر، دار أزمنة، الأردن، 2023، ط1، ص130.
[7]. فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركو الإنماء القومي، الرباط– المغرب، دط، 1986، ص 60.

مبدئي للأفعال الإنجازية يقوم به باحث في الظاهرة... فوضع تعريفا للفعل الكلامي واقترح تصنيفا له، وسمى العمل الذي أنجزه باسم "نظرية القوى الإنجازية" [8].

ويعرفه كريمر بأنه "أصغر وحدة لاتصال إنساني، يمارس بها المتكلم فعلاً تجاه سامع . وهو يتكون من مكونين ، من محتوى قضوي ووظيفة إنجازية... وتتعلق الوظيفة الإنجازية بالدور، بما يقصد متكلم أن يفعل بنطق جملة ما في موقف معين، سواء أنطق تقريراً أو أمراً أو سؤالاً أو وعداً. وتوصف أفعال إنجازية وقضوية من خلال التعبير بكلمات في سياق الجملة في سياقات معينة بشروط معينة، ومع مقاصد معينة"[9].

- **أصناف الأفعال الكلامية:**

اقترح أوستين "ثلاثة أصناف من الأفعال (actes)التي لا تتعلق بالقول (أي بالتلفظ فقط)، بل هي أعمال وسلوكات ذات طبيعة اجتماعية أو مؤسساتية أو قانونية... تتم بمجرد التلفظ بها، وهي التي سُميت بعد ذلك بالأفعال الكلامية"[10].

والأصناف الثلاثة هي:

- فعل القول (أو الفعل اللغوي): Acte locutoireويُراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة.

[8]. يُنظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، دار التنوير، الجزائر، دار أزمنة، الأردن، 2023، ط1، ص 141.

[9]. زيليه كريمر، اللغة والفعل الكلامي والاتصال، تر: سعيد البحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة- مصر، ط1، 2011.ص 61.

[10]. مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، ص 141.

- الفعل المتضمن في القول (أو الفعل بالقول أو الفعل الإنجازي):Acte illocutoire وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ "أنه عمل يُنجز بقول ما" وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها.

- الفعل الناتج عن القول : Acte perlocutoire: قد يكون الفاعل (الشخص المتكلم) قائما بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط... يسميه أوستين "الفعل الناتج عن القول"، ويسميه بعضهم "الفعل التأثيري".[11]

هذا الفعل التأثيري هو محو دراستنا هذه، حيث سنرى مدى نجاح الخطاب الشعري في إنتاج أفعال تأثيرية نلمسها في تفاعل المتلقي معه وتأثره به على مستوى المشاعر والقناعات..

- **تصنيف الأفعال الكلامية عند سيرل:**

لقد أجرى سيرل على تصنيفات أستاذه أوستين بعض التعديلات والمراجعات، حيث قدم تصورا آخرا لفسفة اللغة ولمنطق "الأفعال المتضمنة في القول" وسماها "القوى الإنجازية"، ثم أدخل ضمن "الإنجازيات" ظاهرة كلامية فرعية سماها "الأفعال الكلامية غير المباشرة[12]".

وتمخض عن تصور سيرل للأفعال الكلامية التصنيفات الآتية:

- **التقريريات** assertifs والغرض منها هو التقرير، ومن أمثلتها: الإجابة، الإنكار، التأكيد...
- **الوعديات** promissifs والغرض منها هو الوعد، ومن أمثلتها: الوعد، الالتزام، التعاقد...
- **الأمريات** directifsوغرضها الطلب، من أمثلتها: الأمر، النهي...

[11]. يُنظر: نفس المرجع، ص 141- 143.
[12]. لحظة ميلاد التداولية، ص 178.

- **الإيقاعيات** déclaratifs وغرضها إحداث تغيير في العالم حتى يطابق المحتوى القضوي، ومن أمثلتها: الاستقالة، التعريف، التسمية...
- **والبوحيات**expressifs والعرض منها التعبير عن المشاعر حيال الواقع، ومن أمثلتها: الشكر، التهنئة، الاعتذار...[13]

يتبين جليا من خلال تصنيفات سيرل مخالفته لأوستين في مجمل تصنيفه لأفعال الكلام حيث اعتبر "التقريريات" صنفا عاما يحتوي جزء من صنفين عند أوستين هما: "التنبيهات" و"الحكميات"، و"الأمريات" عنده تحتوي جزء كبيرا من "الحكميات" الأوستينية، وأيضا بعض "السلوكيات"، أما الشكر والتهنئة.. فقد أدخلها ضمن "البوحيات". و"الوعديات" تحتوي "وعديات أوستين" بعد تجردها من بعض الأفعال، كالاستعداد والنية...[14]

3- التداولية والخطاب الأدبي:

يتّسم الخطاب الأدبي بانزياحه عن المعنى الحرفي المباشر نحو أنماط دلالية متعددة تتشكل وفق تنوّع الأغراض وتعدّد سياقات الإنتاج، وهو ما يفتح المجال أمام آفاق واسعة للتأويل، ويؤدي إلى تنوّع الأفعال الكلامية غير المباشرة. وإذا كان هذا الطابع سمةً عامةً للخطاب الأدبي، فإن الخطاب الشعري يتفرّد بانزياحه الأعمق وغِناه الدلالي، لما يحمله من طبقات خفية وأسرار تتجاوز سطح المعاني المباشرة. وانطلاقًا من هذا الأفق، جاءت دراستنا لتقارب العلاقة بين التداولية والخطاب الشعري المعاصر من خلال الوقوف عند تجربتين شعريتين تنتميان إلى الجيل نفسه، الأولى للشاعرة الجزائرية آمنة حزمون، والثانية للشاعر

[13]. يُنظر: نفس المرجع، ص 179.
[14]. نفس المرجع، ص 179.

المصري أحمد عبد الغني، وهما يشتركان في كسر النمطية والشكلية الموروثة، والانفتاح على القضايا الإنسانية والاجتماعية الراهنة.

و تبرز أهمية التداولية في النص الأدبي المعاصر في أنها تحيط بعدد من الأسئلة، نحو: من يتكلم؟ ولمن نتكلم؟ وكيف نتكلم بشيء ونريد شيئا آخر؟.. وكيف يمكننا التأثير في المتلقي من خلال ما نقول، وإلى أي مدى يبلغ هذا التأثير؟

وسنحاول في هذه الدراسة تحليل بعض النماذج للشاعرين مركزين على البعد التأثيري في شعرهما.

4- الوظيفة الشعرية والتأثير التداولي في نماذج من شعر آمنة حزمون و أحمد عبد الغني:

بما أن النص الشعري المعاصر لم يعد مجرّد بناء جمالي مغلق، بل أصبح ممارسة تواصلية تُفعّل آليات اللغة في سياقاتها التداولية، وتستثمر طاقاتها الإيحائية لإحداث التأثير في المتلقي. ومن هذا المنطلق، يغدو تحليل القصيدة العربية المعاصرة من منظور تداولي مدخلًا كاشفًا عن البنية العميقة للخطاب الشعري، وعن كيفية تشكّل الأثر القرائي من خلال الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، والمقاصد التداولية الكامنة خلف البوح الشعري.

وفي ضوء هذه الخلفية، سننتقل إلى القسم التطبيقي من هذه الدراسة، حيث نقارب نماذج شعرية مختارة لكل منوالشاعرة الجزائرية **آمنة حزمون**والشاعر المصري **أحمد عبد الغني**، وقد وقع الاختيار على هاتين التجربتين لما يميز شعرهما من حسّ إنساني واجتماعي، وقدرة على كسر النمطية والاشتغال على لغة حافلة بالانزياحات الدلالية التي تتيح مجالًا خصبًا للتحليل التداولي. وسيتم التركيز في هذا القسم على رصد تجليات التأثير التداولي في نصوصهما، من خلال تبيان الأفعال الكلامية وأنماط الخطاب، وكيفية إسهامها في تحقيق التفاعل القرائي وشدّ المتلقي إلى أفق النص.

❖ **أولا: آمنة حزمون**

تفتتح آمنة قصيدتها: "ما قالته الأرملة للريّح" بقولها:

"فؤادي هواءٌ أي صبرٍ أحاولُ؟

وفي الركعة الأولى خيالكَ ماثلُ

وصلّيتُ لا أدري بأيّة سورة

تهجّدتُ حتى ذكّرتني النو افل

وألقيتُ حرزي للسماء لعله

يُلاقيكَ والأشواق طفلٌ يُخاتِلُ"

في هذا المقطع تتشكل الوظيفة الشعرية من خلال المزج بين الحقل الديني (الركعة، السورة، النوافل) والحقل العاطفي (الفؤاد، الخيال، الأشواق) من أجل تجسيد صورة الانكسار الداخلي للذات الشاعرة، التي تستدعي رمزية الطقس التعبّدي لا بوصفه مظهرًا دينيًا فحسب، بل كآلية استبطانية لإبراز حالة الحنين والخذلان العاطفي. فالصلاة، التي يُفترض أن تكون لحظة صفاء وسكينة، تنقلب إلى مشهد استحضار للمفقود، بما يشي بتحوّل الألم الشخصي إلى طقس شعري مفعم بالتوتر الدلالي والانزياح الرمزي.

أما تداوليًا، فيبدأ النص بفعل خبري تقريري: *"فؤادي هواءٌ"* لكنه يتجاوز الإخبار إلى فعل إنشائي إيحائي يشي بالهشاشة والانكسار.

ويتجلى كذلك، الفعل الكلامي غير المباشر الذي تمارسه الشاعرة من خلال أسلوب الاستفهام الإنكاري "أي صبرٍ أحاول؟"، والذي لا يروم الحصول على إجابة، بل يُقصد به التعبير عن حالة من العجز واليأس، فيقع ضمن الأفعال البوحية (expressifs) التي تُفصح عن مشاعر داخلية مضطربة. كما نلحظ حضورًا فعّالًا للفعل التأثيري(perlocutoire) ، إذ تُستدرج مشاعر المتلقي عبر الجمع بين قدسية اللحظة التعبدية وهشاشة الذات المحبّة، ما يثير تعاطفًا وجدانيًا ويدفع القارئ نحو إعادة تأويل العلاقة بين الروح والافتقاد. وبذلك يُنتج النص أثرًا شعوريًا مزدوجًا: حنينًا دينيًا مغلفًا بالحسرة العاطفية، في تواشج دقيق بين الدلالي والتداولي.

فالنص إذن يشتغل على المعنى الضمني أكثر من المباشر. فحين تقولُ آمنة: "وصلّيت لا أدري بأية سورةٍ ، فهي لا تنقل مجرد حدث، بل توحي بأن حضور المحبوب أربك انتظامها التعبدي، ما يعكس سلطة وجدانية تحلّ محلّ السلطة الروحية.

وفي قولها: "وألقيت حرزي للسماء لعلّه يلاقيك..." نجد فعلًا دُعائيًا يقترب من الالتماس، بما يعكس انتقال الخطاب من المحبوب إلى قوة عليا (السماء)، في محاولة لإعادة بناء قناة تواصلية عبر الدعاء.

يكشف هذا المقطع عن قدرة خطاب آمنة حزمون على توظيف الشعرية في خدمة المقصد التداولي؛ فالنص لا يكتفي بتشكيل صُوَر جمالية، بل يمارس تأثيرًا عاطفيًا مضاعفًا: أولًا على المحبوب بوصفه المخاطَب المباشر (التأثير الإقناعي/العاطفي). ثانيًا على القارئ/المتلقي الذي يتحوّل إلى شريك وجداني يشارك الذات انكسارها.

وبذلك يتحقق التّفاعل بين الوظيفة الشعرية (جماليّات اللغة) و (التأثير التداولي)القوة الإيحائية والتأثيرية للخطاب.

وتقول في قصيدة أخرى بعنوان: "ما رواهُ الصفصاف عنّا.."

"سيخبرك الصفصاف عني فلا تبحْ

بما قاله الصفصافُ

في لحظة الضعفِ"!

ثقيلٌ هو الحزن الذي صرت أمّه

و أثقلُ منه الصبرُ،

والصبر لا يكفي.. !

ففي قولها : "سيخبرك الصفصاف عني فلا تبحْ

بما قاله الصفصافُ

في لحظة الضعفِ"!

نجد حضوراً شعرياً للرمز الطبيعي (الصفصاف) الذي يتحول إلى كائن ناطق. تداولياً، ينهض النص على فعل كلام إنشائي واضح (الأمر: "فلا تبحْ")، وهو توجيه موجه للمخاطَب. الأثر التداولي يكمن في بناء علاقة تعاون مع المتلقي الذي يُستدعى ليشارك في فعل الكتمان (لا تبح). وهنا تكمن طاقة حجاجية واضحة من خلال استعمال أداة النهي (لا)، فأسلوب النهي في عبارة "لا تبحْ بما قاله الصفصافُ في لحظة الضعف" يمثل فعلاً كلاميًا غير مباشر، إذ تتجاوز المتكلمة الوظيفة الطلبية الظاهرة لتُعبّر، من خلال هذا النهي، عن انكشافها الشعوري وشدّة هشاشتها. فالقول لا يُراد به فقط منع البوح، بل يُوظَّف حجاجيًا وبوحيًا في آنٍ معًا، للتلميح إلى أن ما قيل في لحظة الضعف لا يرقى إلى حقيقة ثابتة، بل هو إفراز وجداني مؤقت، ينبغي

أن يُقابَل بالتفهّم لا بالإفشاء. وهكذا يُستثمر النهي كآلية حجاجية غير مباشرة، تؤسس لنوع من التعاون العاطفي مع المتلقي، وتحوّل الخطاب من مجرد توجيه إلى فعل تأثيري قيمي يحمّل الآخر مسؤولية الاحتواء.

وفي قولها:

"ثقيلٌ هو الحزن الذي صرتُ أمَّه

وأثقلُ منه الصبرُ،

والصبرُ لا يكفي"!..

في هذا المقطع، تُفعّل الشاعرة آلية الانزياح الاستعاري لتجسيد المعاناة، حيث تمنح الحزنُ بُعدًا أنثويًا حميميًا عبر تشبيهه بوليدٍ تتبناه الذات وتصبح "أمّه"، في صورة شعرية كثيفة تنقل عمق التماهي مع الألم. هذا التصوير لا يكتفي بالإفصاح عن الحزن كحالة عابرة، بل يرتقي به إلى درجة الهوية الوجودية للمتكلمة، ما يعكس استبطانًا شعوريًا بالغًا. أما الصبر، الذي يُطرح عادة كقيمة خلاص، فيُعرّف هنا بأنه أثقل من الحزن نفسه، ليُلغى في النهاية عبر نفي كفايته: (والصبر لا يكفي)، مما يضفي على الخطاب بعدًا تمرديًا ضمنيًا على البنى التقليدية في تمثل الألم والتحمل.

تداوليًا،يقوم هذا النص على أفعال كلامية بوحية(**expressifs**) ، تكشف عن حالة وجدانية مأزومة، تُمارَس من خلالها وظيفة تعبيرية ذات طابع شخصي وعاطفي. كما تتضمن الأسطر فعلاً تأثيريًا (**perlocutoire**) واضحًا، يتمثل في دفع المتلقي إلى التماهي مع التجربة الشعورية للمتكلمة، واستثارة التعاطف بل وحتى إعادة التفكير في المفاهيم الراسخة كالصبر والحزن. ويُلاحظ أن الشاعرة توظّف الأسلوب الخبري الانفعالي بطريقة تؤسس لخطاب غير مباشر، تتجاوز به التقريرية إلى الإيحاء والتأثير، في انسجام تام مع المقصد التداولي المتمثل في التأثير الوجداني العميق.

وفي نموذج آخر لآمنة من قصيدة "بورتريه لامرأة ليست أنا" نجدها تقول:

"ولست أول أنثى ترتدي وجعاً

ولستُ آخر من أزرى بها الغدرُ

أنا انعكاسٌ لحزن الليل تعرفني

ثكلى النجوم ويتلو آيتي البدرُ"

في هذا المقطع، تنهض المتكلمة على بناء ذاتها عبر شبكة من الصور والعبارات التي تمزج بين الاعتراف الجمعي والتفرد الوجداني، ضمن صيغة خطابية تعتمد الاستبطان والتأمل في موقع الذات الأنثوية في عالمٍ موبوء بالخذلان.

على المستوى الشعري، يتم استحضار ثنائية (الامتداد والخصوصية):

- فهي "ليست أول أنثى ترتدي وجعًا"، مما يمنح القول بعدًا إنسانيًا عامًا يخرج الألم من فرديته إلى طابع مشترك.لكنها في الآن نفسه "انعكاس لحزن الليل"، أي تمثيل شعري مكثّف لحالة وجدانية مفردة، ترتبط بكائنات كونية (الليل، النجوم، البدر) مما يمنح الخطاب بعدًا كونيًا رمزيًا.

أما تداوليًا، فيمكن رصد عدة أفعال كلامية تتداخل ضمن هذا الخطاب الشعري، في مقدمتها:

1. **الفعل البوحي:(Expressif)**

- الخطاب في مجمله فعل بوح عاطفي يعبر عن حالة وجدانية مركبة من الخذلان، والحزن، والانكسار.

- العبارات مثل *"أزرى بها الغدر"، "ثكلى النجوم"، " يتلو آيتي البدر"* تكثّف الانفعال وتحوّله إلى خطاب إيحائي.

2. **الفعل التأثيري:(Perlocutoire)**

يُستدرج القارئ نحو التماهي مع الذات الشاعرة من خلال توظيف صور كونية ترتبط بالحزن والعزلة، مما يخلق **أثرًا وجدانيًا عالي التوتر**.هنا يتحقق التأثير التداولي بوضوح: إذ لا يُكتفى بتوصيل المعنى، بل يُستهدف **إنتاجُ أثر شعوري لدى المتلقي** (تضامن، تعاطف، فهم أعمق للذات الأنثوية الحزينة).

3. **الحجاج غير المباشر:**قولها" :ولستُ أول أنثى... ولستُ آخر "...يحمل بُعدًا حجاجيًا ضمنيًا؛ إذ تبرّر المتكلمة حزنها ووجعها لا بوصفه حالة شاذة، بل كامتداد لسلسلة من التجارب النسائية التي عبَرتها الخيانة والخذلان.

هذا البناء الحجاجي الألم، ويؤسّس له كحقيقة اجتماعية، وليس مجرّد انفعال شخصي.

❖ ثانيا: أحمد عبد الغني:

يقول أحمد في قصيدة: "إلى أن يتلاشى السراب"

"على كُلّ حالٍ غدي في يديّ

وصمتي لديَّ

وصوتي فدا..

لكلّ الذينَ أضاعوا الطريقَ

وظلّوا على عهدهِ عُهّدا

فحيناً يُنصبنا ما نُريدُ

وحيناً نخرُّله سُجّدا"

يُبرز هذا المقطع تكاملاً لافتًا بين شعرية الخطاب وفاعليته التداولية، حيث ينزاح الخطاب عن المعنى المباشر ليُنتج إيقاعًا خاصًا قائمًا على التوازي الصوتي والدلالي: "غدي في يديّ / وصمتي لديّ / وصوتي فدا"تتجلّىهناموسيقىداخليةقائمةعلىالتكراروالتماثلالتركيبي،ممايعزّزالطابعالجماليللنص.

و الانزياحات كـ («غدي في يديّ»، «صوتي فدا») تنقل اللغة من دلالتها الحرفية إلى أفق إيحائي رحب، يجعل المعنى مفتوحًا على التأويل.

ومن جهة ثانية، فإن المقطع ذاته يشتغل على التأثير التداولي من خلال توظيف أفعال كلامية غير مباشرة تعبّر عن مواقف وجودية وجماعية:

- قول الشاعر :" غدي في يديّ" يتضمن فعلًا كلاميًا إخباريًا في ظاهره، لكنه يحمل في العمق فعلًا إنشائيًا ضمنيًا (إعلان الإرادة والسيطرة على المستقبل).
- عبارة: "وصوتي فدا.. لكلّ الذين أضاعوا الطريق" تقوم بوظيفة إنجازية ذات طابع التزامي (commissive)، إذ يعلن الشاعر تضحّيه بصوته في سبيل الآخرين، وهو فعل كلامي يولّد أثرًا تداوليًا يتمثل في تعزيز ثقة المتلقي وجرّه إلى التفاعل العاطفي مع النص.
- الجملة :" فحينًا يُنصبنا ما نُريدُ / وحينًا نخرّ له سُجّدا" تحيل إلى فعل تقريري يصف جدلية الإرادة الإنسانية والاستسلام للقدر.

إذن، تتداخل في هذا المقطع **الوظيفة الشعرية** (الإيقاع، الانزياح، الصور) مع **الوظيفةالتداولية** (الأفعال الكلامية، المقاصد الضمنية، الأثر في المتلقي). فالقصيدة لا تكتفي بتشييد بناء جمالي مغلق، بل تحوّل الخطاب إلى ممارسة تواصلية تستنهض القارئ، وتدعوه للتأمل في القضايا الإنسانية الكبرى، وتستثير وعيه بمسؤوليته تجاه الآخر.

ويقول في قصيدته: "**تولّى إلى المرآة**":

"هم مُعتمون فكن من أجلهم فَلكا

لهم تفاصيلهم

أما الأسى فلكا

تصطاد في الأفق المنسي دهشتهم

ليملؤوا الكون مما يملأ الشبكا"

... إلى أن يقول:

"على المدى الآن أن يمتدّ طوع خُطى

تخطو على الجرح كي لا تجرح السككا

على المناديل أن ترتاح بين يدٍ

تودّعُ المشتهى حيث الوداعُ بكى.."

يستند هذا المقطع إلى بنية شعرية تأملية وتكليفية، فيها نزوع نحو شعر الحكمة والرسالة، ويُوظّف صورًا كونية وإنسانية ذات أبعاد رمزية عالية..وهو ثري بأفعال كلامية إنشائية، وأخرى تأثيرية غير مباشرة، تظهر من خلال نوعية الخطاب وتوجّهه نحو القارئ/الآخر:

في قوله: "فكن من أجلهم فلكا:"أمرٌ إنشائي، لكنه لا يصدر عن سلطة، بل عن **أخلاقية شعرية** تحمل طابع الرسالة.هنا، تتجلى الحِجاجية التداولية في أن الأمر لا يُقصد به التنفيذ، بل تحفيز المتلقي ليعيد تموضعه الأخلاقي والوجودي تجاه الآخرين، وتجاه الألم.

وتتضمّن الجملة "كي لا تجرح السككا" فعلًا بوحيًا غير مباشر، فيه اعتراف ضمني بحضور الألم في العالم، وبالحاجة إلى عبور الحياة دون إيذاء الآخرين.وهو أخلاقية شعريةتوجّه الضمير الجمعي للمتلقّي.

ويتجلى الفعل التأثيري أكثر فيالعبارة الأخيرة: "على المناديل أن ترتاح بين يدٍ / تودّعُ المشتهى حيث الوداع بكى"تتضمن تشخيصًا دلاليًا (المناديل ترتاح، الوداع يبكي)، وهذا التشخيص يُفعّل الأثر التداولي من خلال:

- استثارة العاطفة
- إعادة تأويل الفقد
- توليد مشاركة وجدانية في الحزن

وبالتالي، يُصبح الشعر أداة تأثير وجداني واستبطان عاطفي، لا مجرد قول جمالي.

ويقول في قصيدة "تجرد":

"أحتاجُ

ما تَحتاجُ شمسٌ في "المَسا"..

أنْ تغفوَ الأفراحُ

في حضنِ الأسىٰ

أحتاجُ ما تحتاجه صبّارةٌ

قصّت أظافرها لتحضن نرجسا

ويدا لأرفع وردةً -من خاطري-

في وجه من رفعوا عليّ مسدّسا"

يستند هذا المقطع الشعري إلى بناء متين يجمع بين التماثل اللفظي والتماثل الدلالي من جهة، وبين استعارات ومجازات تعكس حالة وجدانية متأججة، تتأرجح بين الحاجة الإنسانية للعطاء والتسامح، والواقع المؤلم للصراع والعنف.

على الصعيد الشعري، يظهر تكرار الفعل "أحتاجُ" و"ما تحتاجُ" في بداية المقطع كإطار متكرر يؤكد على حالة احتياج متبادلة وغير محدودة. هذا التكرار يضفي إيقاعاً تأملياً، ويجعل القارئ يتوقف عند ثنائية الحاجة الإنسانية التي تتجاوز الفرد لتشمل الآخر.

يستعمل الشاعر صوراً متناقضة كال"شمس في المسا" التي تعكس تناقض الظلام والنور، و"الأفراح تغفو في حضن الأسى" وهو تعبير شعري مكثف يصور مدى اختلاط الفرح بالحزن في الوجود الإنساني، مما يضفي على النص عمقاً وجدانيًا يتخطى المألوف.

في الجانب التداولي، يمكن تبيان عدة أفعال كلامية أساسية تبرز الوظيفة التواصلية للنص:

1. **فعل التعبير-البوح:(Expressif) :**

يتجلى في الكشف عن حالة الاحتياج العميقة والمتشابكة، والتي تعبّر عن هاجس إنساني مركب يحفزه الحزن والألم.

في صورة "صبّارةٌ قصّت أظافرها لتحضن نرجسا" هناك فعل بوح ضمني يعكس تضحية الإنسان، مما يعزز البعد الإنساني والتعاطف.

2. **الفعل التأثيري:(Perlocutoire)** :

يستهدف المقطع من خلال هذه الصور الحية خلق **تفاعل وجداني** مع المتلقي، عبر إيقاظ مشاعر الرحمة والتعاطف، والدعوة غير المباشرة إلى فهم الألم الإنساني المشترك.

العبارة الأخيرة "يدا لأرفع وردةً... في وجه من رفعوا عليّ مسدّسا" تحمل في طياتها فعلا كلاميا غير مباشر يتمثل في المصالحة والتسامح، رغم العنف الموجه، وهو تأثير تداولي قوي يستدعي استجابة وجدانية وأخلاقية من القارئ.

3. **فعل الطلب غير المباشر:(Indirect Directive)**

رغم أن النص لا يحتوي على أمر مباشر، إلا أن الحضور القوي لصورة الورد المرفوع في وجه المسدس يمثل توجيهاً ضمنياً للدعوة إلى السلام والتسامح، وكأن الشاعر يخاطب المتلقي ليشارك في هذا الفعل السلمي والنبيل.

4. **الاستعارة التداولية:**

استحضار صبارة تقص أظافرها لتحضن نرجسا، واستعمال الوردة في وجه المسدس، هما استعارتان تشكلان قوة تأثيرية تحمل دلالة على الصبر والتحدي والسلام، مما يجعل النص عملًا حجاجيًا ضمنيًا يؤسس لقيم إنسانية تتجاوز التوترات والصراعات.

خاتمة

لقد أبانت الدراسة من خلال مقاربتها التداولية لجملة من النماذج الشعرية عن مدى التفاعل العميق بين شعرية الخطاب وفاعليته التأثيرية في القصيدة العربية المعاصرة، كما تجلّى ذلك بوضوح في نصوص كل من آمنة حزمون وأحمد عبد الغني .فقد كشف التحليل أن القصيدة لم تعد مجرّد فضاء للتعبير الذاتي أو الجمالي فحسب، بل أضحت ممارسة تواصلية تتكئ على أفعال كلامية ذات بنية إنجازية وتأثيرية، تسعى إلى خلق حوار وجداني ووجودي مع المتلقي.

وإذا كانت آمنة حزمون تميل في خطابها الشعري إلى استثمار اللغة البوحية والرؤية الأنثوية المحمّلة بالألم والحنين والانكسار، فإن أحمد عبد الغني يوظّف خطابًا أكثر تجريدًا وتأمّليّة، يتقاطع فيه الذاتي بالكوني، ويتخذ من الصورة الشعرية المركبة وسيلة لتوليد أفعال تداولية غير مباشرة تلامس القيم والمواقف والتجارب الحياتية.

كما بيّن التحليل أنّ الأثر التداولي في نصوص الشاعرين يتجلّى من خلال:

- حضور الأفعال الكلامية الإنشائية (كالأمر، النهي، التمني) التي تتخفى في بنية شعرية رمزية،
- والانزياح الدلالي الذي يسمح بانبثاق تأويلات متعددة،
- والتوجيه الأخلاقي الضمني الذي يؤسس لما يمكن تسميته بـ"الأخلاقية الشعرية"

لقد مكّنت المقاربة التداولية من تعميق فهمنا لأثر القصيدة المعاصرة في متلقيها، بعيدًا عن التحليل البنيوي أو الأسلوبي المحض، وذلك من خلال التركيز على مقاصد القول، واستراتيجيات التأثير، التي تجعل من النص الشعري فضاء تواصليًا مفتوحًا على الاحتمال والمشاركة والتأويل.

وإذا كانت هذه الدراسة قد قدّمت قراءة أولية في أفق التقاطع بين التداولية والشعرية، فإنها تفتح المجال أمام دراسات أوسع، قد تتناول شعر أجيال مختلفة أو تجارب شعرية عربية أخرى، بغرض الكشف عن مدى حضور الوعي التداولي في ممارساتهم الشعرية، وعن طبيعة التحوّلات الجمالية والتواصلية التي تشهدها القصيدة المعاصرة في سياقها الثقافي والفني الراهن.

- **المصادروالمراجع**

- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية،دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.
- زيبيله كريمر، اللغة والفعل الكلامي والاتصال ، تر: سعيد البحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة- مصر، ط1، 2011.
- طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2.
- فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركو الإنماء القومي، الرباط- المغرب، دط، 1986.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير الجزائر، سنة 2020، ط2.
- مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية (نظرية الأفعال الكلامية)، دار التنوير، الجزائر، دار أزمنة، الأردن، 2023، ط1.